شرح الأربعين النووية

الحديث السابع

الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ

الحديث السابع

عَنْ أَبِيْ رُقَيَّةَ تَمِيْم بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النبي-ﷺ- قَالَ: "الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: للهِ، ولكتابه، ولِرَسُوْلِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ، وَعَامَّتِهِمْ". رواه مسلم

ترجمة الراوي:

هو صاحب رسول الله -ﷺ-، أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة بن سود اللخمي الفِلَسطيني، كان تميم الداري نصرانيا، وأسلم سنة 9 هـ في وفد من قومه بني الدار من لخم على النبي محمد -ﷺ-، سكن المدينة بعد إسلامه ثم خرج منها إلى الشام بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان.

وله في الإسلام مناقب عديدة منها: أنه أول من أسرج السراج في المسجد فهو صاحب فكرة إضاءة المسجد بالقنديل والزيت، فكانوا قبل ذلك يسرجون بسعف النّخل، وأوّل من قصّ القصص في عهد عمر بن الخطّاب، وأنه صنع منبر النبي -ﷺ-.

وهو الوحيد من الصحابة الذي روى عنه النبي -ﷺ-، فحدث عنه النبي -ﷺ-على المنبر بقصة الجساسة في أمر الدجال،عن فاطمة بنت قيس: أنَّ رسول الله -ﷺ- جاء ذات يوم مسرعًا فصعد المنبر ونودي في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس، فقال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لَمْ أَدْعُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ؛ وَلَكِنَّ تَمِيمَ الدَّارِيَّ أَخْبَرَنِي أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَهْلِ فِلَسْطِينَ رَكِبُوا الْبَحْرَ فَقَذَفَ بِهِمُ الرِّيحُ إِلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، فَإِذَا هُمْ بِدَابَّةٍ أَشْعَرَ لَا يدري ذَكَرٌ هُوَ أَوْ أُنْثَى لِكَثْرَةِ شَعْرِهِ، فقالوا: مَنْ أَنْتَ. فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ فَقَالُوا: فَأَخْبِرِينَا فَقَالَتْ: مَا أَنَا بِمُخْبِرَتِكُمْ وَلَا مُسْتَخْبِرَتِكُمْ، وَلَكِنْ فِي هَذَا الدَّيْرِ رَجُلٌ فَقِيرٌ إِلَى أَنْ يُخْبِرَكُمْ وَإِلَى أَنْ يَسْتَخْبِرَكُمْ فَدَخَلُوا الدَّيْرَ فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ أَعْوَرُ مُصَفَّدٌ فِي الْحَدِيدِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْعَرَبُ فَقَالَ: هَلْ بُعِثَ فِيكُمُ النَّبِيُّ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلِ اتَّبَعَهُ الْعَرَبُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ. قَالَ: فَمَا فَعَلَتْ فَارِسُ هَلْ ظَهَرَ عَلَيْهَا؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَمَا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْهَا. ثُمَّ قَالَ: مَا فَعَلَتْ عَيْنُ زَغَرَ؟ قَالُوا: هِيَ تَدفق مَلْأَى قَالَ: فَمَا فَعَلَ نَخْلُ بِيسَانِ هَل أطعم؟ قَالُوا: نَعَمْ أَوَائِلُهُ (تَقْرُبُ أَلَّا تُثْمِرَ) قَالَ: فَوَثَبَ وَثْبَةً حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَفْلِتُ، فَقُلْنَا: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا الدَّجَّالُ، أَمَا أَنِّي سَأَطَأُ الْأَرْضَ كُلَّهَا غَيْرَ مَكَّةَ وَطِيبَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: أَبْشِرُوا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ طِيبَةُ لَا يَدْخُلُهَا". صحيح ابن حبان

وكان راهب عصره وعابد أهل فلسطين، قال ابن جريج: قال عكرمة: لما أسلم تميم، قال: يا رسول الله، إن الله مظهرك على الأرض كلها، فهب لي قريتي من بيت لحم، قال: ((هي لك))، وكتب له بها، قال: فجاء تميم بالكتاب إلى عمر، فقال: أنا شاهد لك فأمضاه، وذكر الليث أن النبي -ﷺ- قال له: ((ليس لك أن تبيع))، قال: فهي في أيدي أهله إلى اليوم، واشتهر بعبادته وقراءته للقرآن وروي أنه كان يختم القرآن في سبع، وقال ابن سيرين: كان تميم يقرأ القرآن في ركعة.

عن مسروق قال: قال رجل من أهل مكة: هذا مقام تميم الداري لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [الجاثية: 21].

وعن صفوان بن سليم قال: قام تميم الداري في المسجد بعد أن صلى العشاء فمر بهذه الاية: (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ) [المؤمنون: 104]، فما خرج منها حتى سمع أذان الصبح.

وروي عنه -ﷺ-18 حديثا منها حديث واحد في صحيح مسلم.

مات سنة أربعين، ودفن ببيت جبرين (قرية من قرى الخليل بفلسطين).

منزلة الحديث:

هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام لا يجاوزه؛ لكثرة معانيه.

قال الطوفي – رحمه الله –: واعلم أن هذا الحديث وإن أوجز في العبارة فلقد أعرض في الفائدة، وهذه الأحاديث الأربعون وسائر السنن داخلة تحته، بل تحت كلمة منه، وهي ((ولكتابه))؛ لأن الكتاب مشتمل على أمور الدين جميعًا، أصلًا وفرعًا واعتقادًا، فإذا آمن به وعمل بما يضمنه على ما ينبغي فقد جمع الكل.

الشرح:

قوله: عَنْ أَبِيْ رُقَيَّةَ: هذه كنية بأنثى، والغالب أن الكنية تكون بذكر، لكن قد تكون بأنثى لا سيما إذا اشتهر، وقد تكون بغير الإنسان كأبي هريرة مثلاً، فأبو هريرة رضي الله عنه اشتهر بهذه الكنية من أجل أنه كان معه هرة ألفها وألفته فكنّي أبا هريرة.

❁الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ: وقوله: الدِّيْنُ يعني بذلك دين العمل، لأن الدين ينقسم إلى قسمين: دين عمل، ودين جزاء.

فقوله تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [الفاتحة:4] المراد به: دين الجزاء، وقوله تعالى:(وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: 3] المراد به: دين العمل.

❁وقوله هنا: الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ: المراد به دين العمل، والنصيحة بمعنى إخلاص الشيء.

وأبهم النبي -ﷺ- لمن تكون النصيحة من أجل أن يستفهم الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك؟
⇦لأن وقوع الشيء مجملاً ثم مفصلاً من أسباب رسوخ العلم، وهذا حسن تعليم الرسول -ﷺ-لأنه إذا أتى مجملاً تطلعت النفس إلى بيان هذا المجمل، فيأتي البيان والنفس متطلعة إلى ذلك متشوفة له، فيرسخ في الذهن أكثر مما لو جاء البيان من أول مرة.

وكان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على العلم والتعلم، وأنهم لن يدعوا شيئاً يحتاج الناس إلى فهمه إلا سألوا عنه، ومن ذلك لما ذكر النبي -ﷺ- أن الدّجّال يمكث في الأرض أربعين يوماً، "يا رَسُولَ اللهِ، وَما لَبْثُهُ في الأرْضِ؟ قالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، فَذلكَ اليَوْمُ الذي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فيه صَلَاةُ يَومٍ؟ قالَ: لَا، اقْدُرُوا له قَدْرَهُ" صحيح مسلم

وكذلك يجب أن نتبع السلف في عدم السؤال فيما لا يمكن إدراكه ولا الإحاطة من أمور الدين مثل ما يتعلق بأسماء الله وصفاته، من كيفية الصفات ولهذا عد الإمام مالك – رحمه الله – من سأل عن كيفية الاستواء، مبتدعاً، لأنه ابتدع سؤالاً لم يسأل عنه الصحابة رضي الله عنهم.
وفي بعض ألفاظه: الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ ثَلاثاً يعني قالها ثلاثاً الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة

❁قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: للهِ، ولكتابه، ولِرَسُوْلِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ، وَعَامَّتِهِمْ

ونتعلم فقه الأولويات من الحديث البداءة بالأهم فالأهم، حيث بدأ النبي -ﷺ- بالنصيحة لله، ثم للكتاب، ثم للرسول -ﷺ- ثم لأئمة المسلمين، ثم عامتهم.

وإنما قدم الكتاب على الرسول لأن الكتاب يبقى، والرسول يموت، على أن النصيحة للكتاب وللرسول متلازمان، فإذا نصح للكتاب نصح للرسول، وإذا نصح للرسول نصح للكتاب.

📂النصيحة لله تتضمن أمرين: فهي الإخلاص له في الأقوال والأفعال، وصدق القصد في طلب مرضاته، بأن يكون الإنسان عبدًا لله حقيقة راضيًا بقضائه منتفعًا بعطائه، ممتثلًا لأوامره ومجتنبًا لنواهيه، مخلصًا له في ذلك كله لا يقصد بذلك رياء ولا سمعة.

❶الأول: إخلاص العبادة له، قال تعالى:﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة: 5].

📝فالإخلاص لله: هو حقيقة الدين ولب العبادة وشرط قبول العمل، فهو بمنزلة الأساس للبنيان وبمنزلة الروح للجسد، فلا عبادة ولا عبودية لمن لا إخلاص له، قال الله سبحانه وتعالى مخبراً عن أعمال الكفار التي لا إخلاص فيها ولا توحيد :﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: 23]

📝فهذا الإحباط للعمل والإبطال للسعي نصيب كل من لم يخلص لله تعالى في قوله وعمله قال الله سبحانه وتعالى:﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود:15-16]

📜الإخلاص عرفه الإمام أحمد رحمه الله : إذا عملت عملاً لا تريد به الدنيا.

📝وهذا الإخلاص يحتاج إلى مجاهدة النفس، 📜قال سفيان الثوري رحمه الله: "ما عالجت شيئا أشد عليَّ من نيتي لأنها تتقلب عليَّ".

📝وحذر النبي -ﷺ- من الرياء وحب الثناء الذي يعكر صفو الإخلاص لله قال-ﷺ-: "أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ فقيل كَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ". رواه الإمام أحمد وصححه الإمام الألباني رحمهما الله

📝ويجبُ أن نعلم أن الله تعالى غنيٌ عن الخلق أجمعين، حتى لو كفروا وأعرضوا عن الطاعة والعبادة فالله غنيٌ عنهم وعن عبادتهم وطاعتهم، فهو سبحانه لا تَضرُهُ معصيَّة العاصين ولا تنفعُه طاعة الطائعين، بل لا يزيد ملكه توحيد الموحدين ولا حمد الحامدين ولا شكر الشاكرين، ولا ينقص ملكه كفر الكافرين ولا عصيان العاصين ولا إذناب المذنبين أبدًا، كما في الحديث القدسي عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ – رضي الله عنه – عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ:"..... يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ،

مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا". رواه مسلم

📝من أخلص العبادة لله أحسن لنفسه لا لغيره، (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا)، فالعبد المخلص يعمل لآخرته ولمنزلته عند ربه، ولينجو بنفسه ويرضي ربه قبل أن يلقاه.

❷الثاني: الشهادة له بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

❍(التوحيد) لغة: هو جعل الشيء واحداً.

❍وفي الاصطلاح: الإيمان بوحدانية الله عز وجل في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته.

📂وتفصيل ذلك بمعرفة أقسام التوحيد كما بينها العلماء:

أولاً: توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بأفعاله كالخلق، والملك، والتدبير، قال تعالى: [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ][الفاتحة: 1] أي: مالكهم، ومدبر شؤونهم.

✉وأفعال الله سبحانه وتعالى كثيرة منها: الخلق، والرَّزْق، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، فالواجب على العبد المخلص لله أن يتأمل هذا الكتاب المنظور، فلا يمر بآية من آيات الله الكونية إلا حركت قلبه بالمحبة والتعظيم والإجلال لرب العالمين.

لنتأمل في قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: 31].

▤هذا امتنان من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، ففيه استدلال بربوبيته سبحانه على استحقاق الألوهية وإفراده بالعبادة.

❍كما قال أبو الدرداء رضى الله عنه: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

❍وهذا هو الإخلاص لله التفكر بالأكوان الموصل للواحد الديان، وتصبح الأركان تبعا للجنان، تفعل الأمر وتترك النهي، وتدور مع رضا الرحمن.

ثانيا: توحيد الألوهية: وهو إفراده تعالى بالعبادة، وذلك بأن يعبد الله وحده، ولا يشرك في عبادته أحد، وأن يعبد بما شرع لا بالأهواء والبدع، قال تعالى:(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[الأنعام:162]

✉وقد كان خلاف المشركين في هذا النوع من التوحيد، لذلك بعث الله إليهم الرسل، قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ) [النحل: 36]

⇦والمحرك الحقيقي للإخلاص في توحيد الالوهية، وإفراد الله بالعبادة هي العبادات القلبية: المحبة والخوف والرجاء والاستعانة والخشية وغيرها التي هي ثمرة توحيد الربوبية.

ثالثا: توحيد الأسماء والصفات: وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله –ﷺ–من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله –ﷺ– ، قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى:11]

⇦ولتوضيح كيف يكون الإخلاص في التعامل مع أسماء الله الحسنى نورد مثال: اسم الله السلام هذا الاسم في القرآن الكريم في موضع واحد، يقول الله عز وجل:(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ)[الحشر:23].

وفي صحيح البخاري، أن النبي –ﷺ–يقول: " فإن الله هو السلام " [البخاري].

🗁فموقف المسلم تجاه هذا الاسم إثباته لله وفهم معناه: أنه هو الذي سلم مما لا يليق به من الأنداد والنقائص والآفات والعيوب، في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، وقضائه، وقدره، وشرعه، بل شرعه كله حكمة، ورحمة، ومصلحة وعدل، فله سبحانه الكمال المطلق من جميع الوجوه في ذاته وأسمائه وصفاته. الالوكة

✉فكيف نتتعبد الله عز وجل بهذا الاسم المبارك؟

أولاً :الدعاء بالاسم دعاء مسألة: كان النبي–ﷺ– إذا انصرف من صلاته قال: " اللَّهم أنْتَ السَّلامُ، ومِنكَ السَّلامُ، تَبَاركتَ يا ذَا الجلالِ والإكرَام " [مسلم].

ثانياً: الدعاء بالاسم دعاء عبادة :فإن أثر الإيمان بتوحيد الله في اسمه السلام أن يكف المسلم نفسه عن إخوانه فيسلموا من أذيته ويحرص على جيرانه وقرابته، قال النبي -ﷺ-:" المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ" رواه بخاري

ثالثاً: بالثناء على الله تعالى لأنه عز وجل هو السلام بكثرة ذكر آثار هذا الاسم العظيم في الكون.

رابعاً: بأن يفشي المسلم السلام بين العباد، ويلتزم بتحية الإسلام.

✉وهكذا نعيش مع جميع أسماء الله الحسنى، حفظها، معرفة معناها والعمل بمقتضاها فإذا علم أنّه الأحد فلا يُشرك معه غيره، وإذا علم أنّه الرزّاق فلا يطلب الرّزق من غيره ... وهكذا، دعاؤه بها، كأن يقول: يا رحمن، ارحمني، يا غفور، اغفر لي ونحو ذلك.

❁الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: للهِ، ولكتابه.....

✉كيف تكون النصيحة لكتاب الله؟

🗐قال الإمام محمد بن نصر المَرْوزيُّ – رحمه الله –: (النَّصيحة لكتاب الله: شدة حبه وتعظيم قدره، إذ هو كلام الخالق، وشدة الرغبة في فهمه، وشدة العناية في تدبره، والوقوف عند تلاوته لِطلب معاني ما أحبَّ مولاه أن يفهمه عنه، ويقوم به له بعدما يفهمه).

✉ويصف شيئاً من هذه الحال العلامةُ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – فيقول: «إن أكثر المنتسبين للإسلام اليوم في أقطار الدنيا مُعرِضون عن التدبر في آياته [أي: القرآن] غير مُكترثين بقول مَنْ خَلَقهم :﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، لا يتأدبون بآدابه ولا يتخلَّقون بما فيه من مكارم الأخلاق، يطلبون الأحكام في التشريعات الضالة المخالفة له، غير مكترثين بقولِ ربِّه: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: 44]. وقوله : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 60]؛ بل المتأدِّبُ بآداب القرآن، المتخلِّقُ بما فيه من مكارم الأخلاق، مُحْتَقَرٌ مغموز فيه عند جُلِّهم إلاَّ من عصمه الله، فهم يحتقرونه، واحتقاره لهم أشد، كما قال الشافعي – رحمه الله-: فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه أزهد منه فيه، وإياك يا أخي ثم إياك، أن يُزَهِّدَكَ في كتاب الله تعالى كثرة الزاهدين فيه، ولا كثرة المحتقرين لمن يعمل به ويدعو إليه، واعلم أن العاقل الكيّس الحكيم لا يكترث بانتقاد المجانين.

وصَدَقَ فينا قولُ الحسن البصري – رحمه الله –: «نزل القرآن ليُتدبر ويُعمل به، فاتَّخِذوا تلاوته عملاً».

وقال أيضاً: «إنَّ مَنْ كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربِّهم، فكانوا يتدبَّرونها باللَّيل، وينفِّذونها بالنَّهار».

قال عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما –: " لقد عشنا برهة من دهرنا وإنَّ أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السُّورة على محمد –ﷺ– فنتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن نقف عنده منها كما تُعَلَّمون أنتم القرآن، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمِرُه ولا زاجِرُه وما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نَثْرَ الدَّقَل".

فيروى عن عثمان وابن مسعود وأُبيّ بن كعب –رضي الله عنهم: (أن رسول الله –ﷺ–كان يقرئهم العشر آيات فلا يجاوزونها إلى عشرٍ أُخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، [قالوا:] فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً).

إن إيمان السَّلف الصَّالح بتلازم تعلم كتاب الله والعمل به هو الذي جعلهم في رأس قائمة الذين يحققون النصيحة لكتاب الله تعالى، وكما أن ضعف الإيمان بذلك في قلوب مسلمي اليوم، هو الذي حملهم على التقصير في تحقيق النصيحة.

والنصيحة لكتابه تتضمن أموراً منها:

الأول: الذبّ عنه، بأن يذب الإنسان عنه تحريف المبطلين، ويبيّن بطلان تحريف من حرّف.

الثاني: تصديق خبره تصديقاً جازماً لا مرية فيه، فلو كذب خبراً من أخبار الكتاب لم يكن ناصحاً، ومن شك فيه وتردد لم يكن ناصحاً.

الثالث: امتثال أوامره فما ورد في كتاب الله من أمر فامتثله، فإن لم تمتثل لم تكن ناصحاً له.

الرابع: اجتناب ما نهى عنه، فإن لم تفعل لم تكن ناصحاً.

الخامس: أن تؤمن بأن ما تضمنه من الأحكام هو خير الأحكام، وأنه لا حكم أحسن من أحكام القرآن الكريم، (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة:50]

السادس: أن تؤمن بأن هذا القرآن كلام الله عزّ وجل حروفه ومعناه، تكلم به حقيقة، وتلقاه جبريل من الله عزّ وجل ونزل به على قلب النبي –ﷺ–ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين.

الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: للهِ، ولكتابه، ولِرَسُوْلِهِ....

والنصيحة لرسوله تكون بأمور منها:

قال الإمام النووي رحمه الله:" وأما النصيحة لرسول الله –ﷺ– فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته ونشر شريعته، ونفى التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها، والدعوة إليها، والتلطف في تعلُّمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلُّق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع فى سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك".

والنصيحة لرسوله تكون بأمور منها:

الأول: تجريد المتابعة له، وأن لا تتبع غيره، لقول الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)[الأحزاب:21]

الثاني: الإيمان بأنه رسول الله حقاً، لم يَكذِب، ولم يُكذَب، فهو رسول صادق مصدوق.

الثالث: أن تؤمن بكل ما أخبر به من الأخبار الماضية والحاضرة والمستقبلة.

الرابع: أن تمتثل أمره.

الخامس: أن تجتنب نهيه، قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)[الحشر:7]

السادس: أن تذبّ عن شريعته.

السابع: أن تعتقد أن ما جاء عن رسول الله فهو كما جاء عن الله تعالى في لزوم العمل به، لأن ما ثبت في السنة فهو كالذي جاء في القرآن، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)[النساء: 59] وقال تعالى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)[النساء: 80]

الثامن: نصرة النبي –ﷺ–إن كان حياً فمعه وإلى جانبه، وإن كان ميتاً فنصرة سنته –ﷺ–.

📂ونعطي أمثلة في إخلاص الصحابة لرسول الله -ﷺ-:

✉في حادثة الرجيع غدر المشركون بوفد أرسله الرسول -ﷺ- من الصحابة رضي الله عنهم لتعليم المسلمين، فقتلوا بعضهم، وأسروا بعضهم، وممن أسروا زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف، وبعث به صفوان مع مولى له يقال له: نسطاس، إلى التنعيم، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه. واجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد! أتحب أن محمدًا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟! قال زيد: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا! ثم قتله نسطاس، وذهب شهيدًا في سبيل الله تعالى رضي الله عنه وأرضاه.

✉في غزوة أحد تفرق الناس أول الأمر عن رسول الله -ﷺ- ووقف سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يحمي النبي -ﷺ- بروحه ودمه والنبيُّ -ﷺ- يقول له ارْمِ سعد فِدَاكَ أبِي وأُمِّي.

✉وكذلك طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: تُشل يده يوم أحد وهو يحمي الرسول الله -ﷺ- بنفسه، ويتقى النبل عنه بيده حتى شلت إصبعه.

✉نسيبة بنت كعب الملقبة ب ام عمارة: فهي كانت المرأة الوحيدة في يوم أحد كانت تسقي الجيش وعندما رات الاعداء يهاجمون رسول الله من اليمين واليسار هرعت لتساعده فراها الرسول ما ان التفت يمنة ارى ام عمارة وما ان التفت يسرى ارى ام عمارة فقال من يطيق من تطيقين سليني يا ام عمارة فقالت له رفقتك في الجنة فقال عليه السلام أنتم رفقائي في الجنة .

📃هذه حقيقة الإخلاص لرسول الله -ﷺ-، أن نفداه بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، فأقل ما نقدمه اليوم الدفاع عن السنة وحفظها والعمل بها والدعوة لها.

الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: للهِ، ولكتابه، ولِرَسُوْلِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ، وَعَامَّتِهِمْ

وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِيْن: أئمة جمع إمام والإمام: القدوة كما قال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ) (النحل: 120] أي قدوة، ومنه قول عباد الرحمن: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) [الفرقان: 74] قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء:59]

📃قال ابن عباس " هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم " وقال أبو هريرة " هم الأمراء والولاة ".

قال ابن كثير " والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء "

وأئمة المسلمين صنفان من الناس:

الأول: العلماء، والمراد بهم العلماء الربانيون الذين ورثوا النبي -ﷺ- علماً وعبادة وأخلاقاً ودعوة، وهؤلاء هم أولو الأمر حقيقة، لأن هؤلاء يباشرون العامة، ويباشرون الأمراء، ويبينون دين الله ويدعون إليه.

الصنف الثاني: من أئمة المسلمين: الأمراء المنفذون لشريعة الله، ولهذا نقول: العلماء مبينون، والأمراء منفذون يجب عليهم أن ينفذوا شريعة الله عزّ وجل في أنفسهم وفي عباد الله.

والنصيحة للعلماء تكون بأمورٍ منها:

الأول: محبتهم، لأنك إذا لم تحب أحداً فإنك لن تتأسّى به.

الثاني: معونتهم ومساعدتهم في بيان الحق، فتنشر كتبهم بالوسائل الإعلامية المتنوعة التي تختلف في كل زمان ومكان.

الثالث: الذبّ عن أعراضهم، بمعنى أن لا تقرّ أحداً على غيبتهم والوقوع في أعراضهم.

وإذا نسب إلى أحدٍ من العلماء الربانيين شيء يُستنكر فعليك أن تتخذ هذه المراحل:

المرحلة الأولى: أن تتثبت من نسبتهِ إليه، فكم من أشياء نسبت إلى عالم وهي كذب، فلا بد أن تتأكد، فإذا تأكدت من نسبة الكلام إليه.

فانتقل إلى المرحلة الثانية وهي: أن تتأمل هل هذا محل انتقاد أم لا؟ لأنه قد يبدو للإنسان في أول وهلة أن القول منتقد، وعند التأمل يرى أنه حق، فلابد أن تتأمل حتى تنظر هل هو منتقد أو لا؟ المرحلة الثالثة: إذا تبيّن أنه ليس بمنتقد فالواجب أن تذبّ عنه وتنشر هذا بين الناس، وتبين أن ما قاله هذا العالم فهو حق وإن خالف ما عليه الناس.

المرحلة الرابعة: إذا تبين لك حسب رأيك أن ما نسب إلى العالم وصحت نسبته إليه ليس بحق، فالواجب أن تتصل بهذا العالم بأدب ووقار، وتقول: سمعت عنك كذا وكذا، وأحب أن تبين لي وجه ذلك، لأنك أعلم مني، فإذا بيّن لك هذا فلك حق المناقشة، لكن بأدب واحترام لأنه أحياناً يخفى على الإنسان الحكم فينبهه من هو دونه في العلم فيتنبه وهذا من النصيحة للعلماء.

الخامس: أن تدلهم على خير ما يكون في دعوة الناس، فإذا رأيت هذا العالم محباً لنشر العلم ويتكلم في كل مكان وترى الناس يتثاقلونه ويقولون هذا أثقل علينا، كلما جلسنا قام يحدّث، فمن النصيحة لهذا العالم أن تشير عليه أن لا يتكلم إلا فيما يناسب المقام، لا تقل: إني إذا قلت ذلك منعته من نشر العلم، بل هذا في الواقع من حفظ العلم، لأن الناس إذا ملّوا سئموا من العالم ومن حديثه.

⇦ولهذا كان النبي -ﷺ- يتخول أصحابه بالموعظة، يعني لا يكثر الوعظ عليهم مع أن كلامه -ﷺ- محبوب إلى النفوس لكن خشية السآمة، والإنسان يجب أن يكون مع الناس كالراعي يختار ما هو أنفع وأجدى.

والنصيحة للأمراء تكون بأمور منها:

قال رسول الله -ﷺ-: "ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهنَّ قَلبُ المُؤمِنِ: (لا يبقى فيه غل) إخلاصُ العَمَلِ للهِ، وطاعةُ ذوي الأمْرِ، ولُزومُ جَماعةِ المُسلِمينَ" رواه أحمد.

قال رسول الله -ﷺ-: "عليكَ السمْعُ والطاعة، في عُسْرِكَ ويُسرِكَ، ومَنشَطِكَ، ومَكرَهِكَ، وأثَرَةٍ عليْكَ" رواه مسلم.

أولاً: اعتقاد إمامتهم وإمرتهم، فمن لم يعتقد أنهم أمراء فإنه لم ينصح لهم، لأنه إذا لم يعتقد أنهم أمراء فلن يمتثل أمرهم ولن ينتهي عما نهوا عنه، فلا بد أن تعتقد أنه إمام أو أنه أمير، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، ومن تولى أمر المسلمين ولو بالغلبة فهو إمام، سواء كان من قريش أومن غير قريش.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "مَن خَلَعَ يَدًا مِن طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَومَ القِيَامَةِ لا حُجَّةَ له، وَمَن مَاتَ وَلَيسَ في عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً". رواه مسلم

ثانياً: نشر محاسنهم في الرعية، لأن ذلك يؤدي إلى محبة الناس لهم، وإذا أحبهم الناس سهل انقيادهم لأوامرهم، وهذا عكس ما يفعله بعض الناس حيث ينشر المعايب ويخفي الحسنات، فإن هذا جورٌ وظلم.

❍فمثلاً يذكر خصلة واحدة مما يُعيب به على الأمراء وينسى خصالاً كثيرة مما قاموا به من الخير، وهذا هو الجور بعينه.

ثالثاً: امتثال ما أمروا به وما نهوا عنه، إلا إذا كان في معصية الله عزّ وجل لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وامتثال طاعتهم عبادة وليست مجرد سياسة، بدليل أن الله تعالى أمر بها فقال عزّ وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ) [النساء:59] فجعل ذلك من مأموراته عزّ وجل، وما أمر الله تعالى به فهو عبادة.

❍ولا يشترط في طاعتهم ألاّ يعصوا الله، فأطعهم فيما أمروا به وإن عصوا الله، لأنك مأمور بطاعتهم وإن عصوا الله في أنفسهم.

رابعاً: ستر معايبهم مهما أمكن، وجه هذا: أنه ليس من النصيحة أن تقوم بنشر معايبهم، لما في ذلك من ملئ القلوب غيظاً وحقداً وحنقاً على ولاة الأمور، وإذا امتلأت القلوب من ذلك حصل التمرّد وربما يحصل الخروج على الأمراء فيحصل بذلك من الشر والفساد ما الله به عليم.
⌧وليس معنى قولنا: ستر المعايب أن نسكت عن المعايب، بل ننصح الأمير مباشرة إن تمكنا، وإلا فبواسطة من يتصل به من العلماء وأهل الفضل.

⌧ولهذا أنكر أسامة بن زيد رضي الله عنه على قوم يقولون: أنت لم تفعل ولم تقل لفلان ولفلان يعنون الخليفة، فقال كلاماً معناه: (أتريدون أن أحدثكم بكل ما أحدث به الخليفة) فهذا لا يمكن.
❍وقال الفضيل " المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير".

🖎فلا يمكن للإنسان أن يحدث بكل ما قال للأمير، لأنه إذا حدث بهذا فإما أن يكون الأمير نفذ ما قال، فيقول الناس: الأمير خضع وذل، وإما أن لا ينفذ فيقول الناس: عصى وتمرّد.
⇦ولذلك من الحكمة إذا نصحت ولاة الأمور أن لا تبين ذلك للناس، لأن في ذلك ضرراً عظيماً.

خامساً: عدم الخروج عليهم، وعدم المنابذة لهم، ولم يرخص النبي -ﷺ- في منابذتهم إلا كما قال: أَنْ تَرَوا كُفْرَاً بَوَاحَاً عِنْدَكُمْ فِيْهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ

وقال عبادة بن الصامت – رضي الله عنه -:"بايَعَنا رسول الله -ﷺ- علَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ، في مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا، وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأَثَرَةً عَلَيْنا، وأَنْ لا نُنازِعَ الأمْرَ أهْلَهُ، إلَّا أنْ تَرَوْا كُفْرًا بَواحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فيه بُرْهانٌ". صحيح بخاري

📄ثم إذا جاز الخروج عليهم بهذه الشروط فهل يعني ذلك أن يخرج عليهم؟ لأن هناك فرقاً بين جواز الخروج، وبين وجوب الخروج؟ والجواب: لا نخرج حتى ولو رأينا كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان، إلا حيث يكون الخروج مصلحة، وليس من المصلحة أن تقوم فئة قليلة سلاحها قليل في

وجه دولة بقوتها وسلاحها، لأن هذا يترتب عليه إراقة الدماء واستحلال الحرام دون ارتفاع المحذور الذي انتقدوا به الأمراء، كما هو مشاهد من عهد خروج الخوارج في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم إلى يومنا هذا، حيث يحصل من الشر والمفاسد ما لا يعلمه إلا ربُّ العباد.

لكن بعض الناس تتوقد نار الغيرة في قلوبهم ثم يحدثون ما لا يحمد عقباه، وهذا غلط عظيم. ثم إنا نقول: ما ميزان الكفر؟ فقد يرى البعض هذا كفراً والبعض لا يراه كفراً، ولهذا قيد النبي -ﷺ- ذلك بقوله كُفْرَاً بَوَاحَاً ليس فيه احتمال، كما لو رأيته يسجد للصنم، أو سمعته يسب الله، أو رسوله أو ما أشبه ذلك.

الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: للهِ، ولكتابه، ولِرَسُوْلِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ، وَعَامَّتِهِمْ

قال: وَعَامَّتُهُمْ: أي عامة المسلمين، فعامة المسلمين يشمل كل الطبقات، عموم المسلمين، الرجال والنساء والعلماء والعامة، ويشمل، عموم؛ عامة المسلمين، يعني عموم المسلمين، الأغنياء الفقراء، الأقارب والأبعاد وعامتهم.

والنصح لعامة المسلمين بأن تبدي لهم المحبة، وبشاشة الوجه، وإلقاء السلام، والنصيحة، والمساعدة، وغير ذلك مما هو جالب للمصالح دافعٌ للمفاسد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ:" إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ، وإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم وتعليم جاهلهم، حكي أن الحسن والحسين رضي الله عنهما أقبلا على شيخ يتوضأ وضوءًا باطلاً، فقال أحدهما للآخر: تعالَ نرشد هذا الشيخ، فقال أحدهما: يا شيخ، إنا نريد أن نتوضأ بين يديك حتى تنظر إلينا وتعلم من منا يحسن الوضوء ومن لا يحسنه، ففعلا ذلك، فلما فرغا من وضوئهما، قال الشيخ: أنا - والله - الذي لا أحسن الوضوء، وأما أنتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه، فانتفع بذلك منهما من غير تعنيف ولا توبيخ.

وتذكير غافلهم وإسداء النصح لهم، وستر عوراتهم وسد خلاتهم ونصرتهم على من ظلمهم، ومجانبة الغش والحسد لهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه، ومن أعظم ذلك أن ينصح لمن استشاره في أمره خاصة قال رسول الله -ﷺ-: "حقُّ المسلمِ على المسلمِ سِتٌّ" وذكر

منها "وإذا استنصَحَكَ فانصَحْ لهُ" رواه مسلم، وقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: "بَايَعْتُ رَسولَ اللَّهِ -ﷺ-علَى إقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ". صحيح البخاري

هارون الرشيد خرج يوماً في رحلة صيد فمرّ برجل يقال له بهلول، فقال هارون: عظني يا بهلول، قال: يا أمير المؤمنين!! أين أباؤك وأجدادك؟ من لدن رسول الله -ﷺ-إلى أبيك؟ قال هارون: ماتوا، قال: فأين قصورهم؟ قال: تلك قصورهم، قال: وأين قبورهم؟ قال: هذه قبورهم، فقال بهلول: فما نفعتهم قصورهم وقبورهم؟ قال: صدقت، زدني يا بهلول، قال: أما قصورك في الدنيا فواسعة فليت قبرك بعد الموت يتسع فبكى هارون وقال: زدني، فقال: يا أمير المؤمنين: هب أنك ملكت كنوز كسرى وعُمرت السنين فكان ماذا؟ أليس القبر غاية كل حي وتسأل بعده عن كل هذا؟ قال: بلى ثم رجع هارون، وأنطرح على فراشه مريضاً ولم تمض عليه أيام حتى نزل به الموت.

لكن ينبغي أن تكون النصيحة برفق، وأن تكون سرًّا.

قال الشافعي: "من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه".

قال الشاعر: تغمَّدْني بنصحك في انفرادي ** وجنِّبْني النصيحة في الجماعَهْ

فإن النصح بين الناس نوعٌ ** من التوبيخ لا أرضى استماعَهْ

فيقول ابن رجب رحمه الله: ومن أنواع نصحهم دفع الأذى والمكروه عنهم، وإيثار فقيرهم وتعليم جاهلهم ورد من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردهم إلى الحق، والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحبة إزالة فسادهم ولو بحصول ضرر له في دنياه.

كما قال بعض السلف: وددت أن هذا الخلق أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض.

عليك أن تنصح لكل مسلم، ولا تغشه، في أي علاقة بينك وبينه، معنوية كانت أو مادية، فهذا من صفات الأنبياء الذين كانوا لقومهم ناصحين، كما قال نوح لقومه:(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف:62]، وكذلك قال هود لعاد: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) [الأعراف:68]

وكف الأذى القولي والفعلي؛ فلا يحسد ولا يحقد، ولا يبغض؛ قال رسول الله -ﷺ-:"لا تَبَاغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا". صحيح مسلم

فكل خلق رديء ظاهر أو باطن؛ فإنه ضد النصيحة، قال رسول الله -ﷺ-:" "فمَنْ أحبَّ منكم أنْ يُزَحْزَحَ عنِ النارِ، ويَدْخُلَ الجنةَ، فلْتَأْتِهِ منيتُهُ وهوَ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وليأْتِ إلى الناسِ، الذي يُحِبُّ أنْ يُؤْتَى إليه". صحيح الجامع

وكذا الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، ويحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، كما قال النبي ﷺ :"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ". صحيح البخاري

إنَّ علاقةَ الناس بعضِهم ببعض يجبُ أنْ تقومَ على عواطفِ الحُبِّ المشتركِ والتعاونِ على البرِّ والتقوى والمجاملةِ الطيِّبة، والمعاملاتِ السمحة، ولنْ تكونَ العلاقاتُ بهذهِ الصورةِ إلاَّ إذا نقَّى كلُّ إنسانٍ صدرَه منَ الأنانيةِ واستعانَ على تحقيقِ ذلكَ بالدُّعاءِ والتضرُّعِ إلى اللهِ تعالى ليعينَه على ذلك، يقولُ اللهُ تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)[الحشر:10]

إنَّ المؤمنَ يحبُ الخيرَ للناسِ فيفرحُ إذا فرحوا ويحزنُ إذا ترحوا، ويسارعُ إلى ما يسرهُم ويذبُ عنهُم كلَّ ما يضرُّهم.

وبهذا علمنا غزارة العلم في هذا الحديث على اختصاره جامع لمصالح الدنيا والآخرة.

المرجع: الأربعين النووية شرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بتصرف